Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد يحدث أن تقرأ بيتا أو قصيدة ، فلا تشعر بأى قلق . يبدو كل شىء مفهوما لك بشكل جيد ، ولكنك قد تطالع تحليلا من وجهة ما يكشف عن مشكلة ، وإذا بالاحتمالات تتفتح أمامك ، وحتى لو سلمت بالمشكلة المثارة فإنك تجد نفسك مدعوا – من التزامك بمنهج ثقافى معين – لأن تبحث عن حل آخر لها ، وتتراجع مضطرا عن زعمك القديم بأن كل شىء كان مفهوما لك بشكل جيد ! ! حدث هذا حين قرأت بيت ذى الرمة ؟

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط الشحم والماء جامس

وظننت ألا مشكلة فيه . ولكن الأصمعى عاب هذا البيت ، ولم يقبل منه إبراهيم أنيس حجته فى عيبه ، ومن ثم بحثت عن حل آخر (لا) يرضى الطرفين ! ! . أما اعتراض الأصمعى فينصب على استعمال الشاعر لكلمة « جامس » فيقول : إنما يقال للجامد من السمن وما أشبهه جامس ! ! وهذا يعنى – فى نظر الأصمعى أن الشاعر انحرف بدلالة الكلمة ، وخالف المعنى المعجمى الذى حدده اطراد الاستعمال . ولكن إبراهيم أنيس – رحمه الله – يبحث فى حل المشكلة بأن يجعلها بين الأصمعى والكلمة ، وليس بين الشاعر والمعجم أصلا ، فيقول : فمدلول كلمة « جامس » فى ذهن الأصمعى مقصور على الدهن وما شاكله ، والماء المتجمد لا يقال له جامس . فكيف تمت هذه الصورة فى ذهن الأصمعى إلاّ عن طريق تجاربه مع نصوص أخرى تصادف أن سمعها وتأثر بها ، وتصادف أن استعملت فيها هذه الكلمة مع السمن والدهن ونحوهما من السوائل . ولكن ذا الرمة الشاعر العربى قد تعود مع نفس الكلمة غير ما تعود الأصمعى ، ولعله عرفها فى نصوص أخرى وقد استعملت مع الماء ، أو لعله خلع عليها من الدلالة الهامشية ما سمح له بمثل هذا الاستعمال . فلكل من الرجلين تجاربه الخاصة ، ومزاجه الخاص ، ولا يشتركان إلا فى الدلالة المركزية وهى تجمدّ السائل متخذا هذا التجمد فى ذهن كل منهما صورة معينة[1] . . إلخ .

ومن الصحيح أن المعاجم العربية أشارت إلى صحة الاستعمالين ، وروى « تاج العروس » هذا البيت وعيب الأصمعى له ، وقوله : إنما الجموس للودك ، وقول عمر وقد سئل عن فأرة

---

(١) دلالة الألفاظ ، ص ١١٨ .